● سيرة الشهداء

حسن باقري؛ قياديّ فتيّ جادت به ثورة الإمام الخميني(قدس)

الوفاق- خاص/ عند استعراض مسيرة وانطلاق عمل حرس الثورة الإسلامية في إيران، والتعرف على قادته وشهدائه، لا يمكننا سوى التوقف طويلاً، عند قائد يعتبره الإمام السيد علي الخامنئي (حفظه الله) "معجزة الثورة الإسلامية"، لما حققه من نبوغ عسكري، لامثيل له عند أكثر الجنرالات في العالم. أنه الشهيد غلام حسين أفشردي المعروف باسم "حسن باقري"، الذي ولد في ١٦ آذار ١٩٥٦، في مدينة طهران. نشأ وترعرع وسط عائلة مؤمنة موالية لأهل بيت العصمة والطهارة(ع) ونظراً للحب الذي يحمله والداه للإمام الحسين(ع) فقد أسمياه "غلام حسين" تبركاً وتيمناً ومن ثم اصطحباه في الثانية من عمره لزيارة كربلاء.

دور الشهيد في انتصار الثورة

أُرسل إلى الجيش في آذار ١٩٧٧، للخدمة في فترة الطوارئ، وبعد أن أكمل تدريبه في ثكنة "جلديان نقدي" نُقل إلى إيلام. وتزامناً مع اتساع رقعة الثورة الإسلامية وفتوى الإمام الخميني(قدس) بهروب الجنود من المعسكرات ترك الشهيد باقري الخدمة والتحق بأمة حزب الله موظفاً كامل وقته للعمل لتحقيق أهداف الثورة الإسلامية.

بعد انتصار الثورة الإسلامية

وفي عام ١٩٧٩، بدأ عمله الصحافي في جريدة "جمهوري إسلامي". خلال تلك الفترة، وبدعوة من الأمم المتحدة، أوفدته الصحيفة، كمراسل برحلة استغرقت ١٥ يومًا إلى لبنان والأردن، وفي الزيارة أعد تقريراً تفصيلياً شاملاً عن الأوضاع المأساوية التي يعانيها المسلمون في تلك المنطقة. في عام ١٩٨٠ وبُعيد ساعات قليلة من الإنزال الأمريكي العسكري في صحراء طبس، انطلق الشهيد وكان أول صحافي يصل المنطقة. كتب ونشر أربعة تقارير عن تلك الحادثة، جنّده حرس الثورة الإسلامية أوائل العام ١٩٨٠، وكانت بداية نشاطه في جهاز استخبارات الحرس واختار حينها لقب "حسن باقري". مع اندلاع حرب صدام على إيران، توجه إلى جنوب البلاد مع عدد من عناصر حرس الثورة، حينما احتلت القوات العراقية مدينة خوزستان. ذاع صيته بعد مضي شهرين من حضوره في الجبهة، بحيث أن ممثل الإمام في الهيئة العليا للدفاع وأعضاء تلك الهيئة والقادة العسكريين نظروا إليه كشخصٍ عالمٍ بأدق المعلومات والقادر على تقديم الحلول.

خلال الفترة التي قضاها في الحرب، استخدم خبرته التي اكتسبها من عمله الصحفي في إيران، وزيارته الى لبنان لجمع المعلومات والخرائط والحسابات العملية، وتسجيل الصوت عند الجبهات الإيرانية، وترجمة الوثائق إلى تقارير معلوماتية منظمة. وهو يعتبر مؤسس وحدة المخابرات والعمليات في الحرس، إذ اعتبر جمع المعلومات هو الأمر المطلوب أكثر، قبل تنفيذ العمليات بنسبة ٩٠ ٪، وكلما زادت المعرفة كلما قلت المشاكل وزادت نسبة الانتصار.

العروج

استشهد في الـ ٢٩ كانون الثاني ١٩٨٣ حينما أصيب بقذائف الهاون برفقة الشهيد مجيد بقائي، في محور عمليات "فكة"، أثناء دراستهم لمنطقة العدو. ودُفن جثمانه في مقبرة "بهشت زهراء" في طهران.

٣٧ عاماً على مجزرة بئر العبد:

إرهابٌ مستمر.. لا يمحى من الذاكرة

الوفاق

إثر انطلاق الحالة الإسلامية في لبنان والتي رفعت لواء التحرّر من الصهيونية والإستكبار بمختلف ألوانه وأشكاله، وعملت على إفشال مخططات هذا الاستكبار الذي يمارس إرهابه على الشعوب ويصادر ثرواتها وقرارها، برزت مقاومة الإحتلال الصهيوني في شكلٍ غير مسبوق، وأعلنت أميركا الحرب على هذه الحالة ورأت الإستخبارات الأميركية أنّ الوسيلة الفضلى للإجهاز على هذا الإسلام إنما يكون عبر العمل على اغتيال رموزه وشخصياته التي يشكل نشاطها خطراً على مواقع سيطرتها.

ولذا لم تتورع في هذا السبيل عن ارتكاب أبشع المجازر، وبمختلف الأساليب الوحشية التي كان منها المتفجرة التي وضعتها في محلة بئر العبد، والتي حصدت العشرات من النساء والأطفال والشيوخ والشباب الأبرياء لتكون عنواناً من عناوين الهمجية الأميركية.

عملية الاغتيال الفاشلة

بعد ظهر يوم الجمعة ٨ آذار في الثامن من آذار/ مارس ١٩٨٥ وقرابة الساعة الرابعة والأربعين دقيقة عصرًا، فجرت مجموعة من العملاء سيارة مفخخة في محلة الصنوبرة سندريلا في بئر العبد في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت في محاولة منها لاستهداف سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله، فأوقع التفجير نحو ٨٠ شهيدًا، من بينهم أكثر من ٤٠ إمراة وطفلاً، وما يقارب ٢٦٠ جريحًا، فضلًا عن تدمير أربعة مبان، وتضرر ٢٠ مبنىً سكنيًا ضمن دائرة شعاعها ٢٠٠ متر، وغيرها من الأضرار المادية.

حاولت المخابرات المركزية الأميركية بواسطة هذه المجزرة المروعة التي اغتيال سماحة السيّد محمد حسين فضل الله، باعتباره يشكل الخطر الكبير على مصالحها في المنطقة من خلال دوره في احتضان وتوجيه حركة المقاومة المتنامية ضد العدو الصهيوني والإستكبار الأميركي.

وقد عبّر عن ذلك "ويليام كايسي" مدير محطة بيروت في CIAعندما قال بأن "السيّد فضل الله أصبح مزعجاً للسياسة الأميركية وأنّ عليه أن يرحل"، فقد كان سماحته في واجهة الحركة والحالة الإسلامية والمقاومة ولحضوره أهمية كبيرة على مستوى مواجهة العدو الإسرائيلي، وقد برز تأييده للجمهورية الإسلامية في إيران، عدا ذلك، مواجهته للمخططات الأميركية ودوره في إسقاط إتفاقية ١٧ أيار، كل هذه العناصر تجمّعت لتشكل رغبة عميقة لدى أميركا لإنهاء هذه الظاهرة.

مغنية.. كاشف العملاء والمجرمين

في كتابه "الحجاب" نقل الكاتب المتخصص بحروب أميركا السرية "بوب ودوورد" عن كايسي يومها:" آلية التمويل جاءت بعد اجتماع بينه وبين بندر بن سلطان بن عبد العزيز، سفير السعوديّة في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك في أحد المقاهي في واشنطن، وقرّرا آنذاك، أنّ السيد فضل الله أصبح عنصراً غير مريح للسياسة الأمريكيّة، وبالتّالي عليهم التخلّص منه".

بناءً على ذلك، قام "الأمير" بندر بن سلطان بتسليم شيك بقيمة ثلاثة ملايين دولار للمخابرات الأمريكيّة، لتمويل عمليّة اغتيال السيد فضل الله هذه، لأنّ مثل هذه العمليات قد لا يسمح الكونغرس الأمريكي بصرف تكاليفها من ميزانيّة المخابرات"، حسبما جاء في المذكّرات.

لقد أكدت التقارير الصحفية الأمريكية ضلوع رئيس الاستخبارات الأمريكية السابق وليم كايسي في المجزرة بصفته أشرف شخصياً عليها وعلى تدريب منفذيها. ووفقاً للتحقيقات التي رافقت هذه الجريمة البشعة فإنّ أميركا برئاسة رونالد ريغن أرادت أن ترفع معنوياتها المتدنية بسبب ما ألحق بها من هزائم في لبنان لا سيّما تفجير مقر قيادة المارينز في بيروت في تلك المرحلة.

من جانب آخر، شكّل التحقيق في المجزرة، الذي تولاّها الشهيد القائد الحاج عماد مغنية، باكورة نجاحات الجهاز الأمني للمقاومة الإسلامية حزب الله، إذ استطاع مع رفاقه في فترة وجيزة وبكل حرفية، كشف الأفراد والشبكات المتورطة في تنفيذ المجزرة، وتقديمهم الى العدالة، بشهادة من تعاون معه من ضباط الأجهزة الأمنية اللبنانية.

رد المقاومة كان سريعاً

في أوج سياسة إحكام القبضة الحديدية الإرهابية التي اعتمدها الصهاينة لتركيع الجنوبيين في المنطقة المحتلة سابقاً، وعلى بعد مائة متر من المطلة، اقتحم الاستشهادي "عامر كلاكش" من المقاومة الإسلامية بسيارة "بيك أب" محملة بتسمعائة كلغ من المواد المتفجرة، قافلة عسكرية صهيونية مفجراً نفسه بها محدثاً انفجاراً هائلاً ومحولاً القافلة إلى ركام. اعترف الناطق العسكري الإسرائيلي بالعملية وقال أنها أسفرت عن مقتل ١٢ جندياً وجرح ١٤ آخرين، فيّما ذكر سكان المنطقة أن العدد كان أكبر من ذلك بكثير.

العملية أتت ثأراً لمجزرة بئر العبد، محدثةً صدمةً في الكيان الإسرائيلي،

وفقاً للتحقيقات التي رافقت الجريمة البشعة فإن أميركا برئاسة رونالد ريغن أرادت أن ترفع معنوياتها المتدنية بسبب ما ألحق بها من هزائم في لبنان لا سيما تفجير مقر قيادة المارينز في بيروت في تلك المرحلة

ولقد كان من المقرر وفقاً لما قاله السيد حسن نصر الله في أحد خطاباته في مدينة الخيام في الجنوب اللبناني:" "الشهيد "أبو زينب" هو اسم لاستشهاديَّين، كان يُفترض أن ينفذا عمليتين في وقتٍ واحد، إحدى العمليتين تأخرت من حيث الوقت، وكان قائدها الاستشهادي أحمد بشير الحسن، من مواليد برج البراجنة ١٩٥٩، وكان يواكبه فيها الشهيد العزيز علي محمد سليمان من بلدة باتوليه. أثناء توجّههما لتنفيذ المهمة في ٢٢ آذار ١٩٨٥، حصل حادث لم نعرف حقيقته بالضبط، وانفجرت الشاحنة المليئة بالمتفجرات، واستُشهد الأخوان الحسن وسليمان".

"أبو زينب"، هو الإسم الذي رافق العملية الاستشهادية عند الحدود مع فلسطين المحتلة لأربعة عشر عاماً، فيما بقيت الهوية الحقيقة للمنفّذ لغزاً للمسؤولين الإسرائيليين وأجهزته الأمنية التي لم تستطع كشف هويته قبل أن يعلن عنه سماحة السيد بعد تحرير الجنوب عام ٢٠٠٠.

سعت المقاومة إلى إبقاء اسم الشهيد طي الأسرار الأمنية طيلة أكثر من عقد لأسباب تتعلّق بأمن وحماية عائلة الاستشهادي من اعتداءات جيش الاحتلال أو "جيش لحد" العميل في تلك الفترة. إلاّ أنّ العلاقة المتينة بين الشهيد أبو زينب وأمه جعلتها على معرفةٍ بأن ابنها هو المنفّذ لكنها حفظت سر إبنها والمقاومة قائلةً "أنه يعمل في الكويت"، فلم يعرف والد الشهيد. ويذكر أن اثنين من إخوة الاستشهادي أمضيا سنوات طويلة في معتقل الخيام الى أن تحرّروا بعد كسر أبواب المعتقل في عام التحرير.

أطلق الشهيد على نفسه اسم "أبو زينب" لأن جدته كانت قد نذرته لزيارة السيدة زينب (ع) في الشام لشدة تعلّقها به وحبها له، وفي كل سنة تعده بهذه الزيارة إذا ما كان انتاج محصول الزراعة جيداً، لكنها لم تستطع أن تفي بنذرها، فكبر عامر وحلم حياته أن يزور السيدة زينب (ع) ويصلي في مقامها. لكن ومع احتلال الجيش الاسرائيلي للأراضي اللبنانية، صار هذا الحلم صعباً، فأطلق على نفسه هذه التسمية، لتستقبله السيدة زينب (ع) عند استشهاده. تجدر الإشارة إلى تنفيذ فيلم يتحدث عن قصة الاستشهادي كلاكش " أبو زينب" وقد سمي «السرّ المدفون» وهو من كتابة رضا اسكندر ومحمود غلامي، وإخراج الإيراني علي غفاري، وإنتاج شركة «الأرز».. وقد فجّر مخرج الفيلم علي غفاري مفاجأة عندما قال بُعَيدَ عرض الفيلم في «مهرجان فجر السينمائي» في طهران إنَّ إنتاجه جاء بعد توصيةٍ من الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله.

● كتب تاريخية

تراب كوشك الناعم

الوفاق
وكالات

هو كتاب من نوع السيرة الشخصية، يحكي فصولاً من حياة القائد الإيراني الشهيد الحاج عبد الحسين برونسي، وقد حظي الكتاب بتقديم من ولي أمر المسلمين القائد السيد علي الخامنئي "دام ظله" يسرد فيه بعضاً من مميزات هذا الشهيد الأبي، إذ يقول الإمام أثناء لقائه عائلة الشهيد:" إنّ شهيدنا العزيز عندما شارك بالحرب لم تكن عنده المعارف الجامعية ولم يكن يحمل عنواناً ولقباً جامعياً بشكلٍ رسمي، إلا أنه استطاع في إدارة الحرب أن يترقّى وأن يصل إلى رتب عالية وأصبح شخصيّة مرموقة، شخصيّة جامعة تحمل اسم قائد لواء ثم بعدها نال درجة الشهادة. وهذه الشخصيّة لو لم تنل وسام الشهادة لاستطاعت أن تبلغ مقامات ودرجات رفيعة من الناحية الظاهرية".

يقدم الكتاب بعضاً من سيرة هذا الشهيد النوراني ويذكر أنه لم تتوفر له الظروف ليكمل دراسته الجامعية والتخصصية، ولكنه رغم ذلك كان فذاً ونابغة في قيادة المعارك العسكرية، حتى أوصلته إلى أعلى المراتب على الجبهة. وهو قبل الثورة كان يعمل بنّاءً في ظاهر الأمر، لكنه في الواقع كان مجاهداً عاملاً في صفوف الحركة الثورية الإسلامية الإيرانية، ما جعله يتحمل الكثير من العناء في سبيل الإسلام.

وكذلك كان له الدور العظيم بعد انتصار الثورة الإسلامية، بحيث إن الفرصة كانت متوفرة له من أجل بلوغه مرتبة الكمال الإنساني.

ومواضيع حياته ومواقفه جعلت اسمه مذكوراً على لسان الجميع، حتى العدو الصدّامي، الذي عيّن قادته جائزةً من أجل الحصول على رأس هذا القائد الشجاع، حيث إن اسمه كان يتردد في محافل العدو وإعلامه. "تراب كوشك الناعم" كتاب حمل اثنين وسبعين قصة، تروي بنفحات أدبية سيرةً ذاتيةً لشخصٍ ينكر حب الذات إلى أبعد الحدود.

بين دفتي الكتاب تجد قصصاً تنادي إلى كتابتها مجموعة من الأهل والمعارف المقربين والأصدقاء الأوفياء.. كلهم انبروا ليسردوا لنا على طريقتهم العفوية جوانب رائعة حفلت بها حياة الشهيد القائد الإسلامي الإيراني الحاج عبد الحسين برونسي .

إنّ هذا الكتاب الذي نوّه به السيد القائد بصدقه يستحق أن يُقرأ بوصفه نوعاً جديداً من سيرة الأدب المقاوم، أدب الشهادات النابضة في سير الشهداء الأحياء الذين يفترض أن ننبري جميعاً للكتابة عنهم ولو اضطررنا للابتعاد عن تقنيات الأدب الروائي واكتفينا بالسرد الذي يعرض للبطولات المجيدة في مواجهة أعداء الله من قبل رجال الله، فبهم تنتصر الأمة وبسيرتهم تحافظ حياة الانتصار والعزة.